محمد صفا

الرحلة التورنجية

معسكر بوخنفالد متحف للشعوب

اعداد: محمد صفا

الناشر: مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب

هاتف: 302631 1 961+

خليوي: 379612 3 961+

ص.ب: 14-5843

البريد الالكتروني: khiam_center@hotmail.com

info@khiamcenter.org

الصفحة: www.khiamcenter.org

الفيسبوك: Khiam Rehabilitation Center For Victims of Torture

الطبعة الاولى: 2020-2021

جميع الحقوق محفوظة

الاهداء

الى الرفيق حنا غريب

الرحلة التورنجية

ان تغادر قبرك ووثيقة ولادة مزيفة

ان تغادر عجقة السير والحشرات وسعال النفايات والاشياء

ان تغادر صحنك اليومي، موتك اليومي.

ان تغادر ملصقا يمجد قتلك برصاصة طائشة!!

ان تطير نحو حقل آخر، صراخ آخر، او رحم آخر لهو لغز جميل.

أوليست الالغاز الجميلة، الاحلام المستحيلة بداية المعرفة الحقيقية للكون والذات؟

السفر هو أحد هذه الألغاز، سواء كان سفرا للفرح أو للعلم او للعمل او للموت والانتحار.

السفر كتاب واحد، رقصة اتقنها الرحالة منذ القدم وما زلنا رحالين بشرا، طيورا ورياحا عاتية.

تدحرجنا كالطابة انا والرفيق حنا غريب نحو دمشق، قضينا ليلة بدون طعام، لأن البيت الذي انتظرنا فيه خال من كل شيء الا من نظرات "ايلي" الحائرة.

الساعة الثالثة فجرا انطلقت بنا الطائرة، نحو الصراخ الآخر، الشاطىء الآخر، الهروب من شبح يطاردنا، وكلما حلقت في الفضاء كنت اتوهم فضاءات، سموات أخرى، انها المرة الاولى التي اغادر فيها الارض، الماء، التبغ، القبر. وكلما اوغلت الطائرة في الهروب كلما اشتد الصراخ، صبية يلاحقون(الطائرة) يرشقونها بالحجارة، بكرات الثلج، فتشعر ان الارض هي التي تطير والطائرة متوقفة في مطارها الصامت، تلهث من التعب.

ولا اخفي انني حاولت ان المس غيمة ثلجية بيدي ، بعيني، باندهاشي الا ان الحظ لم يحالفني اوقظتني المضيفة هل تريد ان تشرب الشاي؟

اقتربنا من الجزيرة، كانت نائمة، عارية، طرقنا حجرتها خلسة فدندنت بصوتها المبحوح:

نحن بانتظاركم، الجزيرة لا تنام.

تسامرنا ساعة مع الجزيرة، حدقنا مليا في اشيائها، انفاسها، نبيذها، ثم غادرناها شبه نائمة، شبه عارية ونحن في حيرة:

كيف يجرأون على تقسيم " الجزيرة" تقسيم، عطرها، نعاسها، وبحة صوتها النحاسية؟

الساعة التاسعة صباحا، 1988/8/31، غادرنا انفاسنا، اجسادنا، عظامنا، صراخنا.

هل نحن وسط صراخ آخر، حقل ممطر يلفحنا بقبله كالنبال

- اهلا وسهلا بالرفيقين الصديقين

صافحونا بحرارة وكأنهم اصدقاء الطفولة، أحدق في وجوههم التي تحاول الانقضاض علينا، كان الطقس باردا فاعطونا " فلدات" ولو كانت مبهبطة على اجسادنا النحيلة

- ستقضون اياما ممتعة في جمهوريتنا، وبعد تناول القهوة سننطلق الى جنوب البلاد، قلت في نفسي الجنوب يلاحقنا اينما توجهنا.

ميشائيل وبكل حياء:

- ارجو ان لا ازعجكم، هل يمكن ان نتحدث عن الاوضاع في لبنان.
- بكل سرور، لبنان أوضاعه صعبة، الاحتلال الاسرائيلي لجزء من اراضيه، والفاشية في الداخل، والاحتمال المرجح ان تتعطل رئاسة الجمهورية.

كان حديثا سياسيا خاطفا استعرضه الرفيق حنا وانطلقنا بعدها الى مقر الشبيبة المركزي حيث تناولنا الفطور.

لا تحس بالجوع فالجوع يرافقنا اينما ذهبنا. انه ظلنا ونبضنا، مقرتحدق في تثاءبه ، طاولاته، شباب وشابات والمترجمة" زينة" تشوقنا عن الرحلة والبرنامج الحافل، انه الجوع الذي نبحث عنه.

- هل انتم مسرورون في بلدنا؟ هل الفطور لذيذ؟ هل هل هل؟

مطعم الشبيبه قفير نحل، لا تحسبه مطعم، لا تسمع فيه رنين ملاعق او اصوات طهاة، فقط موسيقى، عيون عاشقة.

صعدناالى غرفة استقبال الوفود الشبابية، غرفة متواضعة، هنا علم الشبيبة الكوبية، وهنا علم الشبيبة الفيتنامية واتحاد الشباب الديمقراطي اللبناني، ومنظمة الشباب التقدمي والمصري والعراقي

جلسنا في الغرفة لساعة نتناقش في برنامج الرحلة.

كنت أتأمل الأعلام، وصورة فتاة عارية تركض على الشاطىء، جذلة، فرحة، تخيلت نفسي محلها مسرعا نحو الجنوب مقر قضاء عطلتنا، صراخنا، ولادتنا وجوعنا.

برلين آب 1988

الكأس الاممي

1988/8/31

بعد الاستقبال وزيارة مقر الشبيبة، جلسنا لبنانيين، كوبيين، بلغار، المان وو، لم يكن احدنا يتكلم لغة الآخر، ولكن كانت لغة خفية صامتة تجمعنا

انشدنا نشيدا واحدا وتكلمنا لغة واحدة، رقصة واحدة، وشربنا الكأس الاممي.

******

عندما رقصنا أمطرت السماء، هذا الكلام ليس تخيلا ولا شعرا، ففي مدينة " اوبورف" عندما رقصت القطة الفضية صارت تبكي لحظة النعاس البرليني:

سأستمر بالرقص

ولماذا تدخن وانت كما أخبرتني من اشد المناهضين للتدخين

- صحيح لم تلمس شفتاي سيجارة، ولا اعرف من أوحى لي بتدخين سيجارة، انها قوى خفية ارغمتني على تنفيش سيجارة، رسم سيجارة، وسيجارتي لا تشبه سجائركم.

****

- فتات اسبانية اطلقت عليها اسم القطة الفضية لان شعرها يشبه الفضة

متحف الصيد

1988/9/2

زرنا اليوم مدينة Zalla ، مدينة التراث في الغابة التورنجية، مدينة رائعة، هدمتها الفاشية، واعيد بنائها من جديد.

اللقاء الاول كان في متحف اسلحة الصيد القديمة. المتحف كان سابقا منزلا لانتاج البيرة واليوم توجد فيه كافة انواع الاسلحة والادوات التقليدية التي كانت تستعمل لانتاج الاسلحة.

كم هو رائع ان يعود الانسان في عصرنا الحالي الى اعادة تعلم وصناعة هذه الاسلحة الخفيفة، إم حبة، اسلحة الصيد، خرطوش، بل ونسيان هذا " العلم".

وعندما سألتني الرفيقة المرافقة عن انطباعاتي عن هذا المتحف قلت لها إنني أكرة الاسلحة حتى ولو كانت في المتاحف، ومن الافضل ان يغلق هذا المتحف، فالبشرية ليست بحاجة لمتاحف اسلحة صيد او لطيور محنطة ومذبوحة .العالم بحاجة الى متاحف للحب والتسامح والصداقة.

كأس انور ياسين

هذا المساء، ككل مساء رقصنا، قفزنا. تعالى صراخنا، حقدنا، صومنا، جوعنا، اهديتهم كتاب "الخيام" للروائي الصديق علي سرور، ثم شربنا نخب حرية المعتقلين والمناضل انور ياسين بمناسبة عيد ميلاده.

قضية المعتقلين كانت ظلي اليومي، تطاردني لا تفارقني حتى في اجمل لحظات البهجة والاشتعال.

صحيح انها رحلة استراحة ولكن كان صعبا عليّ التأقلم مع اجواء الرحلة، فكنت أشعر أنني مازلت في بيروت وأحاول أن أضفي على الرحلة الخلسة من حياتي القضية التي احملها لدرجة الجنون.

1988/9/4

زرنا مدينة " اورفورت، تجولنا في ميدان كنيستها وبستان الزهور الذي يشبه السماء لاتعرف أوله من آخره، وما زيّنه جمالا خارقا للبستان الصبايا اللواتي يرحبن بك بحيث لا تميز بينهن وبين الزهور، بل اجمل وابهى وتكاد من ملابسهن المزركشة تحسبهم ورودا مزروعة في البستان.

اختتمنا نهار الاحد بنزهة في الغابة، وقهوة شمسية، نزهة تغادر فيها روحك وعقلك، غابة، اشجار تروي صفحات تاريخ المانيا، عصافير تتعثر بها، لا تشعر انك انت، تصبح جزءا من سكون الغابة ومكنوناتها، من صمتها، من عشقها، من ظمئها،اغصانها، عصفور يقفز من جذع الى آخر ويحط على كتفيك ويسألك عن ماهية زيارتك ونزهتك؟

قلت للرفيق حنا مازحا هل يسمحون لنا بالصيد؟

- اوعك تحكي العصافير روح الغابة ومن يصطاد عصفورا أو يزعجهم يعتبرونه مجرما.

وفي سهرة المساء قرأت لهم اشعارا لمحمود درويش وأنشدنا كل بلغته ونبضه أغنيه مارسيل خليفة: منتصف القامة أمشي.

حفار القبور

1988/9/5

زرنا اليوم منتجع للنقابات (اتحاد النقابات الالمانية الحرة، وهو عبارة عن اوتيل يستريح فيه النقابيون.

قلت في نفسي جميل ان يكون للمناضلين منتجعا للاستراحة ولكن هذا الإسراف في الامتيازات والتمييز والذي لا يشمل الا فئة قليلة سيكون وبالا على اتحاد النقابات، حيث بدأت تنمو طبقة جديدة ستكون حفار القبور للتجربة الاشتراكية وهذا ما حدث لاحقا.

EWIGEN RUHM
DEM GROSSEN SOHN DES
DEUTSCHEN VOLKES DEM FÜHRER
DER DEUTSCHEN
ARBEITERKLASSE

قهوة الشيطانة الحمراء

1988/9/6

اليوم الثلاثاء زرنا مصنع الزجاج لوشا "Laucho" ولعبنا البليار في قاعة استراحة العمال والعاملات، شربنا قهوة قال لي احد العاملين انها قهوة الشيطانة الحمراء!!

الغداء كان شوربة فرنسية.

بعد استراحة الغداء ذهبنا الى الحمام الفلندي، كانت " السونا" الاولى في حياتي، شعرت وكانني لم استحم منذ عشر سنوات.

فعندما تكون في غرفة " السونا" تعود الى عهد القطيع، وتتساقط من جسدك وعقلك، وروحك كل متاعب الحياة.

بوخنفالد Buchenuald

1988/9/7

انه اليوم الذي اتشوقه واتلظى لزيارة معسكر بوخنفالد.

يعود تاريخه الى العام 1937 عندما سيطر هتلر على المانيا.

سمعت وقرأت عن معسكرات الاعتقال الفاشية ولكنها المرة الاولى التي اشاهد احد افظع واقسى مخيمات الاعتقال والتعذيب في العالم.

في برنامج الزيارة لقاء مع مدير السجن ورئيس اتحاد مطاردي الحكم النازي وهو احد المعتقلين السابقين "هاغنبك Hagenbck" ولكن في اللحظة الاخيرة تم ابلاغنا انه مريض ولن يستطيع مقابلتنا وسيحدد موعدا آخر.

استقبلنا أمام مدخل السجن سكرتير الدعاية وعضو الهيئة الرئاسية للادارةالمركزية لمقاومي الفاشية هربرت Herbert وهربرت لم يعتقل لكنه من المقاومين للفاشية.

اسهب المقاوم هربرت في شرح اهداف اتحاد مطاردي الفاشية وموجزا عن انشطتهم، اقامة معارض وتنظيم حملات تضامنية وطباعة جريدة اسمها: المقاوم المعادي للفاشية.

وابرز ما يقومون به حملات التوعية للشبيبة ونقل لهم ما كان يجري في المعتقلات من جرائم وحشية ومقاومة بطولية للفاشية.

كنت أنظر للمقاوم هربرت وكأنه يقول: المقاوم لا ينتهي دوره، اشكال المقاومة تتغير والمعتقل يجب ان يروي قصة تعذيبه وصموده حتى لقطرات المطر.

بعد لقاء هربرت تجولت والرفيق حنا في ارجاء المعسكر. في المدخل تطالعك ساعة مازالت متوقفة لحظة اقتحام المقاومين للسجن، لا اعلام ولا صور، الساعة تدندن" انها ساعة التحرير والانتصار(الثالثة والربع من صباح " 11 نيسان 1945"

حديقة مترامية يزينها نصب للمقاومين ضد الفاشية، يحكي باللغات الالمانية والانجليزية تاريخ المعتقل، ومزنر بالورود واكاليل السائحين الذين يقدرون بحوالي 500 الف سنويا.

الافران التي طليت ولكن لم تتغير ملامحها، صرخات صامته، دموع اضحت نقوشا، رماد الجثث المحروقة، موسيقى موشحة بشحبار اسود يقال انها انفاس المعتقلين!!!

ثياب معلقة، حتى الصحون والملاعق التي كانوا يأكلون بها مازالت لم تتلف، وعلى اقسام المعسكر لوائح باسماء معتقلين استشهدوا او تم احراقهم ومنهم شعراء وكتاب مشاهد مرعبة تزيدك حقدا على الفاشية.

معسكر بوخنفالد جامعة ثقافية تتعلم فيها بالعين المجردة، التاريخ، ثقافة يختزنها العقل والقلب وتتجمع في شراييك وعيونك.

درس واحد يردده بصمت ودهشة كل زائر: لن تعود الفاشية الى العالم.

اما الدرس الثاني ومهما كانت طبيعة الانظمة فهو الحفاظ على التاريخ كما هو لتقرأه الاجيال وتشاهده وتتعلم منه.

قلت للرفيق حنا قبل مغادرة السجن: هل رأيت الفرق بين هذا المعسكر وماذا حل في بلادنا من تغيير لمعالم معتقلي انصار والخيام ومراكز الاعتقال الاسرائيلية، هنا يحافظون على تاريخهم، يتباهون به بينما عندنا يمحون التاريخ والذاكرة!!!

1988/9/8

تم تحديد موعد جديد مع مدير السجن، فذهبت برفقة المترجمة، تبادلنا التحيات وعرضت له نبذة سريعة عن المعسكرات التي انشأها الاحتلال الاسرائيلي في جنوب لبنان وبقاعه.

كنت احدثه وكأنه احد الاسرى المحررين من معتقل انصار أو الخيام.

احدق فيه مصغيا بنهم لأتعلم من تجربتهم.

التجربة اهم كتاب في الحياة والتاريخ.

يديه تتحدث، تجاعيد وجهه تشع صلابة ومقاومة:

رغم وضعي الصحي قررت ان التقي بكم واهم شيء في اتحادنا لنيل العضوية القسم التالي: اقسم بان اكافح طوال حياتي الحرب والفاشية، علينا مقاومة الفاشية حتى الرمق الاخير، واتحادنا يضم مناضلو المقاومة الوطنية السابقين ويوجد في العالم 72 منظمة واتحادات عالمية لمقاومي الفاشية من 32 بلدا.

وتابع: في الاتحاد الاوروبي يوجد اتحاد عالمي، فلا ينبغي نسيان جرائم الفاشية، يجب ان تبقى في ذاكرة الاجيال والاطفال وهذه مهمتنا ومهمتكم، هنا مازلنا نحتفظ بمعظم اشياء المعتقلين ولو استطعنا لاحتفظنا باصواتهم ونبضات قلوبهم. توجد في المعسكر "بلاطة" تحتها رماد الاسرى من كافة القوميات وقال ضاحكا: ربما يأتي يوم ينتفض الرماد للاقتصاص من الفاشيين.

بوخنفالد كان معسكر اعتقال وتعذيب وحولناه الى متحف عالمي لكل الشعوب تمجيدا للمقاومة ضد الفاشية.

في اللقاء مع رئيس اتحاد مطاردي الحكم النازي لا تشعر بالملل، وكنت مستعدا للاصغاء اليه لايام بشغف مستفيدا من هذه التجربة الكفاحية العظيمة في لبنان وبلادنا العربية.

اخذت صورة تذكارية معه على ان نلتقي مرة ثانية إن بقينا على قيد الحياة.

زيارة منزل غوته

1988/9/9

بعد زيارة معسكر بوخنفالد دبت الرتابة في رحلتنا التورنجية، فزرنا احد المعاهد الموسيقية، الموسيقى علم ومادة اساسة في الجامعات وليس مجرد هواية، وترى كثافة الفرق الكشفية تتدرب على عزف الموسيقى في الرحلات والاحتفالات.

بعد الظهر كانت استراحة التزلج الاصطناعي، خفت من المشاركة وكيف لا أخاف وانا لا اعرف حتى التزلج الطبيعي ولا البخاري!!!

اطفال وصبايا وشباب وكبار السن يتسابقون في هذه الرياضة الممتعة، حاولوا اقناعي بانها رياضة سهلة لكنني بقيت متفرجا اتزلج بمراقبة سرورهم وطيشهم.

تناولنا الغداء على الطريق، وزيارة خاطفة الى منزل غوته اسم محفور في ذاكرتي وها انا في منزله، مؤلفاته، صوره طيفا يتنقل في بيته يرحب بنا، يسامرنا: انا غوته الحقيقي.

إقرأوا، اكتبوا، اعزفوا، ارسموا، لا يبقى شيء في الحياة سوى ما تكتبونه وتعزفونه.

إصنعوا تاريخكم باقلامكم.

في منزل غوته تختال في صفحات مؤلفاته وسكونه وصمته وخياله.

1988/9/9

ودعّنا كليمنت الصديق الروماني وزرنا مصنع السيارات، حيث ترى طلابا وطالبات في المصنع يتعلمن كجزء من البرنامج الدراسي التدريب على صناعة السيارات، اي ربط العلم بالانتاج وليس كما يحدث في بلادنا تخريج عاطلين عن العمل، وفي المساء حضرنا العيد الوطني البلغاري.

Schloß und Vestung Wartenberg
bey Eisenach
1 00 + 0,05 M
118780

يوم القلعة

1988/9/11

انه يوم القلعة wartling ، فاربتورك كما فهمت من المترجمة، ان هايزنش الاول صاحب الفكرة، وقف على قمة التلة وقال: " انا هنا سأبني قلعتي وبدأ العام 1067"

تزوج فتاة وعمرها 13 سنة(زواج القاصرات ليس في بلادنا فقط) انجبت ثلاثة اطفال وماتت وعمرها 24 عاما بسبب مرض عضال، وبعد موتها سميت بالقديسة اليزبيت.

تناولنا الغداء في مطعم لصيد الغزلان، ولهذا الغداء دلالة خاصة كان سابقا يرتاده الاقطاعيون والنبلاء فقط، اما اليوم فابوابه مشرعة لجميع المواطنين كما قالت المترجمة.

معظم جدرانه مطرزة بالسجاجيد الشعرية وهي حيوانات وهمية.

قلعة تحتوي آلات موسيقية ومؤلفات المغنيين، غرفة الجلوس للنبلاء وغرفة القديسة اليزبت، مراحل حياتها، واهتمامها بمساعدة الفقراء واعطائهم المنازل، وتوجد قاعة الغناء وأخرى للمبارزة وغرفة لمارتن لوثر الذي ترجم فيها الكتاب المقدس.

كنت اشاهد الغزلان في الافلام او صفحات الكتب اما في القلعة فقد اكلت للمرة الأولى لحم الغزلان، وكم كان لذيذا هذا الغداء الرومانسي.

صحيح انها المرة الاولى ولكن اعتقد انها ستكون الاخيرة واستيقظ من غفوتي " البرلينية" واستعيد حجرتي وحقيبتي التي فقدتها في منطقة الجناح".

نبلاء جدد يستعيدون امجاد النبلاء القدامى.

بعد القلعة الى مدينة " ايزنخ" مدينة تشتهر بصناعة السيارات، مدينة عاش فيها مارتن لوثر كينغ.

عرجنا على مدينة "باخ" التي لعبت دورا في تطور الحركة العمالية العام 1869 وتم تأسيس الحزب الاشتراكي الالماني(اوغست بيل وليبنخكت)

زرنا منزل باخ، آلات موسيقية من القرن السابع عشر ولم يعزف عليها" ارغن الآلة الموسيقية وقد سمعنا قطعة Toccata (كلمة ايطالية) اي بعنوان المزاح. وهناك قطعة الضيفة والسكين.

متحف باخ تشرف عليه الجمعية الثقافية للموسيقى ويستقبل سنويا مائة الف سائح.

دمر منزل باخ واعيد ترميمه، واشير ان تمثال باخ بيده ريشة وآلة موسيقية

متى يصبح العالم ريش للكتابة وآلات موسيقية؟؟؟

****

الوداع

بقي يومان من الرحلة، الغفوة لابد من اختتامها بالعودة الى بيت الغابة ومطاردة اطفالها واغصانها وعصافيرها المنتمية الى كافة القوميات والجنسيات.

بيت الغابة كان سابقا لأحد الاقطاعيين واصبح مقرا للشبيبة الشيوعية، قضينا فيه 15 يوما، زرعنا فيه جوعنا وآلامنا ونعاسنا.

زرنا برج التلفزيون صباحا ولقاء مطول مع أمين عام الشبيبة الشيوعية اوراش حول السبل الآيلة لتطوير الحركة الشبابية العالمية.

اختتمنا الرحلة بنزهة قصيرة على الدراجة " البسكلة". رحلة من المستحيل اختتامها، رحلة تورنجية باتت جزءا من حياتي وتاريخي وبعد 32 عاما اعدت سردها يوما بيوم، لا يمكن للانسان الا ان يرحل احيانا، يغادر حروفه، دمائه ومن ثم يعود.

الانسان رحالة دائم عندما يولد وعندما يموت.

كما الاستقبال كان الوداع مؤثرا، 15 يوما ليس مجرد ذكرى. رحلة تورنجية، غفوة للعقل والروح والجسد والنبض والنظر والسمع. رحلة عادت معنا الى بيروت، الى ضجيجها وسعالها، الى الجزيرة التي مازالت نائمة تتثاءب، رحلة لم نكن نعرف انها الاخيرة، فالقلعة انهارت وبيت الغابة عاد الى نبلائه كبيت رملي لان استبدال طبقة النبلاء بطبقة الحزب كان العامل الاساسي في الانهيار السريع.

رحلة ما زلنا نواصلها في لبنان من اجل وطن ديمقراطي حقيقي يشبه بستان الزهور.

رحلة، درس، انشودة: لن تعود الفاشية الى العالم ولو احترقت الغابة.

"ERFURT" — "Lausick"

Weimar — فايمار — لوشا — وضع الرايخ

Buchenwald — بوخنفالد

١١/٩/٧

١٩٢٥ عندما عُرضت

محرقة

الاتحاد وطني الحكم النازي

١٠ رحل النقاعة

• التوثيق اليومي

ايسنغ

- نام مهندس الصوت - الصانع
- ميزة صوتية انتاج اسيالك
- عاش في فاترلوت
- مدينة باخ
- لعبت دورة صانع صور الآلة الموسيقية
- ١٨٦٩ تم تأسيس الاستوديو الخاص
- اوغست بيبل - ليبنكت -
- زلاء متزلباخ - آلات موسيقية في
- وصين في عصر باخ القرن السابع عشر وهو
لم يعرف عليه -
- (الأرغن) اتولة الموسيقية
سمنا تقف - Toccata (ايطالية
- وقطعة بعنوان (المزاج)

(1)

1989/9/14

جنيف

نيابة بيت الفاشية

الرفيق Hugenbeck رئيس اتحاد وطاردي
هربرت هاغنبك

سكرتير الدعاية في ~~[illegible]~~ Hakenbeck, Herbert

و~~اعلا~~ عضو الهيئة الرئاسية
للودا - ة المركزية لاتحاد
~~وطاردي الحكم الناشي~~
مقاومي الفاشية

(٦٥)

١٩٤٤

١٩٥٠ لم يقبل
في روسيا لكنه في اتحاد مقاومي
الفاشية

اتحاد عالمي

- الجبهة الكفاحية
- الوثائق الايديولوجية
- العرض
- معهد التقارير
- اتحاد عالمي

- جهاز الاعتقالات

- ٣٠ الجريدة (المقاوم الحادي للفاشية)

- التوجه نحو الشبيبة يكتب لهم وينقل لهم ما يجري في المعتقلات
- الجرائم الوحشية والمقاومة للفاشية -
- الاتصال بالحزب او اتحاد الشباب الدعوة طن

فرنسا - منظمة اسير الحرب (مناضلون المقاومة الوطنية السابقين
ايطاليا (٢٣ بلدا) و ٧٤ منظمة وضاك اتحادات عالمية

دخل اتحاد الاوروبي للاسرى السابقين - اتحاد
العالمي للمناضلين في الجبهة العسكرية .

من انصار إلى بوخنفالد

جرس انذار ضدّ الفاشية والاحتلال

معكسر «بوخنفالد» تقشعر له أبدان البشر والشجر والحجر، هو من أكبر المعسكرات الفاشية التي أقامها الحكم النازي الهتلري في صيف ١٩٣٧ حيث قتل ١١ مليون مواطن من ٣٨ قومية وجنسية في كل المعسكرات الفاشية.

صباح ٨٨/٩/٧ وبعد الترويقة «التورنجية» قال لي مسؤول الرحلة الرفيق ميخائيل:

ـ اليوم هو يومك يا رفيق محمد

صعدنا الباص واتجهنا نحو مدينة فايمار veimar» حيث يقع بالقرب منها «بوخنفالد» انظارنا جميعا مشدودة نحو هذا المعسكر الرهيب، قرأنا عنه وسمعنا ولكن كما يقول المثل «الشوفة مش متل السمع».

هنا نحن وصلنا محيط المعسكر، اشجار باسقة تتمايل فرحا، تبتسم لرؤيتك، ترحب بقدومك عصافير تزقزق، تنتقل من غصن الى آخر احيانا تحط على رأسك، توشوشك، تشدك الى الداخل.

ـ اسرع يا رفيق لتر كيف قاومنا الفاشية.للوهلة الأولى تظن ان بوخنفالد ما زال معسكراً للاعتقال ولكنه اعتقال طوعي، رفوف من البشر تؤمه يومياً من كل البلدان، اطفال صغار، تحدق في وجوههم الطافحة حقداً

ـ الموت للفاشية

جاءني ميخائيل

ـ بكل اسف رفيق محمد لم يأت الرفيق الذي ستقابله، فقد اصيب بوعكة صحية

ـ ليس هناك مشكلة لنقم بجولتنا.

بعد الترحيب بنا من قبل مسؤولي المعسكر رافقتنا احدى المشرفات عليه تدعى «نادي». «بدأت» «نادي» تشرح لنا اهداف الفاشيين من اقامة المعسكر وهي:

ـ أ ـ العزل وتصفية المقاومين.

ـ ب ـ التمييز العنصري.

ـ ج ـ استخدام المعتقلين كيد عاملة رخيصة لمصلحة الرأسمال الالماني الاحتكاري.

وتابعت نادي:

كان يوجد الف معسكر، وكلما ازدادت العمليات الفاشية تصاعدت عمليات المقاومة فبذل السجناء كل ما بوسعهم للمقاومة، وقد لعب السجناء الأولون وتحديداً الشيوعيون الألمان الدور الطليعي في المقاومة الى جانب القوى الديمقراطية الأخرى فالمعسكرات الفاشية لم تقتصر على الألمان، لأن المقاومين من البلدان الأخرى زجوا هنا في المعسكرات الفاشية منذ عام ١٩٣٨».

بعد هذه المقدمة الموجزة توقفنا في الشارع الرئيسي المؤدي الى المعسكر «شارع الدم» وهو الخطوة الأخيرة التي يمشيها المعتقلون قبل اغتيالهم، طبعا المعتقلون لم يكن يسمح لهم بالمشي،كانوا يساقون كالغنم نحو الذبح، نتقدم بضع خطوات نحو البوابة الرئيسية للمعسكر، ساعة المتوقفة على الثالثة والربع.

ـ لماذا الثالثة والربع؟

ـ انها ساعة التحرير، ففي الثالثة والربع من صباح ١١ نيسان ١٩٤٥ اعلن المعتقلون الانتفاضة قبل وصول الجيوش الحليفة.

كاتب انصار... وبطولات المقاومين الواحدة

وضريحه مزار لكل الشيوعيين والديمقراطيين في العالم، حتى اكاليل الورد تتسابق للنوم على ضريحه النحاسي فالفاشية لم تكتف باغتياله، فقد ارعبتهم جثته فتم حرقها لاحقا، ولكن غاب عن بالهم ان رماده صار جرس انذار كي لا تسيطر الفاشية على العالم.

بعدها انتقلنا حيث شاهدنا الافران. تقف مشدوها، البصر يزيغ الغرفة تدور بنا، الحاجبان يرقصان، انها الفاشية يجب ان نكافحها بكل ما اوتينا من عزم وفكر كي لا تسيطر على بقعة من العالم ولو استطعنا حذف كلمة «الفاشية» من القاموس اللغوي.

افران اعدت بتقنية متطورة ولكن دخان العظام والجماجم صار نسيماً انتشر في ارجاء الأرض الأربعة. فالفاشية هي واحدة سواء استخدمت «الأفران» او «السبت الأسود» او ما يجري في جنوب افريقيا وتشيلي وجنوب لبنان وفلسطين.

* * * *

نتابع جولتنا صورة تذكارية لبعض المعتقلين، واخرى لعدة شهداء بعد التحرير.

تدخل المتحف الوطني التذكاري وكأنك في عالم آخر: قبعات مصنوعة من جلود الأسرى، مصابيح من الجلد. آذان. قلوب مخلوعة من قلوبها محفوظة في اواني زجاجية، كي تبقى شاهداً على فاشية الحرب ورأس المال.. وفي زاوية مقابلة ترى بعضا من وسائل التعذيب: ابر غليظة مقصات كبيرة ، منشار، ساطور.. الخ

نستمر بالتجوال. هنا نداء الى كل الشعوب لممارسة التضامن الانساني. وهنا بقايا ملابس الاسرى، جوارب احذية، مطرات، صحون، اغطية، جاكيت مطرزة بزر احمر (شيوعي).

وهنا شهادات تاريخية من الجرائد:

«من يختار هتلر يختار الحرب». بتوقيع ارنست تلمان.

نداء من الحزب الشيوعي الالماني.

نتوغل في المتحف، لا تشعر بالوقت او الزمن، هياكل عظمية، عظام جماجم.

وهنا ايضا شكل مصغر للمعتقل مؤلف من٣٣

الثالثة والربع، ١٦ ايلول، ١٤ تموز، ١٩١٧ سقوط الونكار! وتواريخ لم تولد بعد هي حتما ستولد تصبح في ذاكرة الشعوب أزمنة أبدية... صحيح انها الثالثة والربع، ولكنها ليست ساعة لليد، ولا لقياس الزمن، انها ساعة الفرح وتساقط الورد.

في الثالثة والربع استيقظ الزمن من غيبوبته وبدأ موسم حصاد الحنطة الزرقاء كما توجد كلمات مكتوبة بالالمانية موجهة الى الأسير الذي سيدخل المعتقل «هذا كل ما تمتلكه».

عندما سرحنا ابصارنا في المعسكر تخاله معتقل «انصار» وهذا لا يدعو للاستغراب فالصهيونية هي النازية الجديدة.

واكملت نادي حديثها:

«انتفاضة الأسرى كانت قبل وصول الجيش الاميركي الثالث، وقد طردت عصابات الاس. اس. «الغستابو» ٣٠ الف سجين الى معسكرات اخرى. الانتفاضة حضر لها المعتقلون بدقة، فقبل التحرير شكلوا لجانا سرية ثم وحدت هذه اللجان اسم لجنة المقاومة الموحدة وعين فالترباتر رئيسا للجنة العالمية لمقاومة الفاشية (لا يزال حيا) ففي كل معسكر لجنة سرية تقود النضال ضد الفاشية مؤيدة من كافة السجناء ونضال المعتقلين داخل المعتقل تواكب مع حملات تضامن عالمية في الخارج.

- كيف تم التحضير للانتفاضة؟

- الانتفاضة داخل بوخنفالد استغرقت وقتا، وحاول مرة المعتقلون اختراق الاسلاك المكهربة ولكنهم فشلوا الاسرى كانوا يعملون في مصنع «كوستلوف» لانتاج الأسلحة، فيسرقون اجزاء السلاح، ثم يركبونه سراً في المعتقل ويخفونه في الصناديق الخشبية التي ينامون داخلها، بالاضافة الى التعاون المطلق بين بعضهم وعرقلة انتاج السلاح في المصنع، ان كان من حيث التباطؤ او تخريب الآلات وفي ١١ نيسان امر رئيس اللجنة السرية باعلان الانتفاضة».

وقبل ان تغادرنا «نادي» لنتجول في ارجاء المعسكر - المتحف - قالت: «هنا» «ميدان النداء» حيث كان يتم تجميع المعتقلين. يبقون واقفين لمدة ١٨ ساعة بدون ملابس وتحت الثلوج، من المعسكر بقي بيت واحد صار المتحف الوطني التذكاري».

تبادلنا التحية مع نادي واهدينا مكتبة المعسكر كتاب معتقل الخيام؟

بعد هذه المعلومات الأولية عن المعسكر انطلقنا للتنزه داخل المعسكر: هنا ضريح وسط الساحة مطوق بأكاليل الورد، وهنا معسكر آخر للمقاومين من بولندا وآخر لجنود سوفيت.. الخ.

في الغرفة الأولى ينزع الاسرى ثيابهم ويدخلون غرفة «الطبيب» اي غرفة القتل. في هذه الغرفة يوهمون الاسير بأنهم سيأخذون قياسه وفيما هو واقف تأتيه طلقة من الخلف فيخر صريعاً، ثم تنقل الجثث بعربة الى الافران.

نغادر غرفة الطبيب التي تحوى اجهزة القتل الى غرفة شهيد الطبقة العاملة الالمانية ورائدها الفذ ارنت تلمان الذي قضى ١٢ سنة في الاعتقال قبل الحرب وهو من اكبر المقاومين ضد الفاشية، اغتيل في زنزانته في ١٨ آب ١٩٤٤ والذي اغتاله جندي فاشي ما زال حياً يعيش في المانيا الاتحادية يدعى اوتو، وقد جرت لهذا الجندي محاكمة في المانيا الاتحادية من قبل القوى التقدمية والديمقراطية، وقد طالبت بنت تلمان باستئناف المحاكمة كونها الشاهد الوحيد على قتل والدها.

غرفة ارنست هي اليوم حديقة تفوح بالعطر الاحمر،

وقبل البدء بشكر مصغير للمعتقل موقف من ٢٢

معسكراً. ثم ندخل مكان نوم الاسرى!! «وهل ينام من كان داخل بوخنفالد» صناديق خشبية مملوءة بالقش، كرسي التعذيب، يجلس عليه الأسير يربط نفسه بحزام وتبدأ جولات الاس. اس.

هنا صورة اخرى للمعتقل عام ١٩٤١ كيف تم توسيعه بسبب ازدياد اعداد المعتقلين.

- انظر يا حنا احذية اطفال بعمر ٤ سنوات وفي احدى الصناديق اسلحة كان قد اخفاها المعتقلون بعد سرقة اجزائها في المصنع.

باختصار، كل شيء موجود في المعتقل، حتى انفاس المعتقلين، آهاتهم، دموعهم، ضحكاتهم، كلها محفوظة.

بوخنفالد جزء من النظام التعليمي.

* * * *

بقي لنا من الوقت نصف ساعة فنسرع في رحاب المتحف.

- انظر يا رفيق غيتار في بوخنفالد وصورة لمعتقلين يعزفون.

- وماذا يعزفون؟

- لحن انتصار الحرية.

- الم تسمعهم عابات الاس. اس؟

- كانوا يعزفون بصمت، واحيانا بصخب. وهذا الغيتار دفن في التراب من عام ١٩٣٩ حتى لحظة التحرير ١٩٤٥. نعم يا رفيق من لا يعرف العزف على الغيتار لا يعرف اطلاق الرصاص على الفاشية. بوخنفالد لم يكن بالنسبة لهؤلاء الأبطال سجناً كان شيئاً عادياً، جزءاً من حياتهم الطبيعية لا شيء يدعو للذهول ابداً هنا ايضا مطبعة صغيرة وبالقرب منها جهاز اذاعي صغير لبث البرقيات، انها مهمات الشيوعي عندما يدخل المعتقل، يواصل كفاحه بتفان مطلق يبتدع الأشكال المستحيلة احيانا من اجل انتصار حزبه وشعبه

- داهمنا الوقت يا محمد

- لنرَ اخر صورة

- عام ١٩٥٨ تم افتتاح المتحف الوطني التذكاري.

* * * *

لكل شعب «بوخنفالده» و«انصاره» فرغم «وادي جهنم» والمقبرة الجماعية في انصار، اصدر رفاقنا جريدة «نداء انصار» واحيوا العيد الستين لحزبهم، ولا ننسى ايضا احمد علي رمضان

نغادر بوخنفالد والمتحف الوطني واسئلة كثيرة تتزاحم في رأسي:

- كيف نحافظ على التراث «الانصاري» ونحول معتقل انصار الى مزار عالمي؟

نغادر بوخنفالد ولا نغادره ولكن الى اين؟

- الى شارع القوميات، حيث شيد برج جرس الانذار ضد الفاشية. ندخل البرج نقف دقيقة صمت اجلالا لأرواح الشهداء.

- ماذا يوجد تحت هذه البلاطة

- رماد من بقايا الأجساد المحترقة، رماد انتصب برجاً وتمثالا عبارة عن عدة مقاومين من قوميات مختلفة يحملون مشعل الراية الحمراء. تمثال يجسد وحدة المقاومين ضد الفاشية.

جرس انذار تقرعه اليوم جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، يقرعه انور ياسين، ونلسون مانديلا وثوار الحجارة وطيور القبعات في نيكاراغوا الخضراء.

برلين - ايلول ١٩٨٨

محمد صفا